

مجالس فتيان الإسلام (المجموعة الثالثة) ٨

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

فتح مكة

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٨)

فتح مكة

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت : ٨٤٢٨١٤٦
ص ب : ٢٩٨٢ - الرمز البريدي : ٣١٤٦١ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠
الإحساء : الهفوف - شارع الجامعة - ت : ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت : ٦٨٠٥٤٩٣ - ٦٥١٦٥٤٩٢
الرياض - ت : ٤٢٦٦٣٣٩

مجالس فتيان الإسلام

المجموعة الثالثة

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

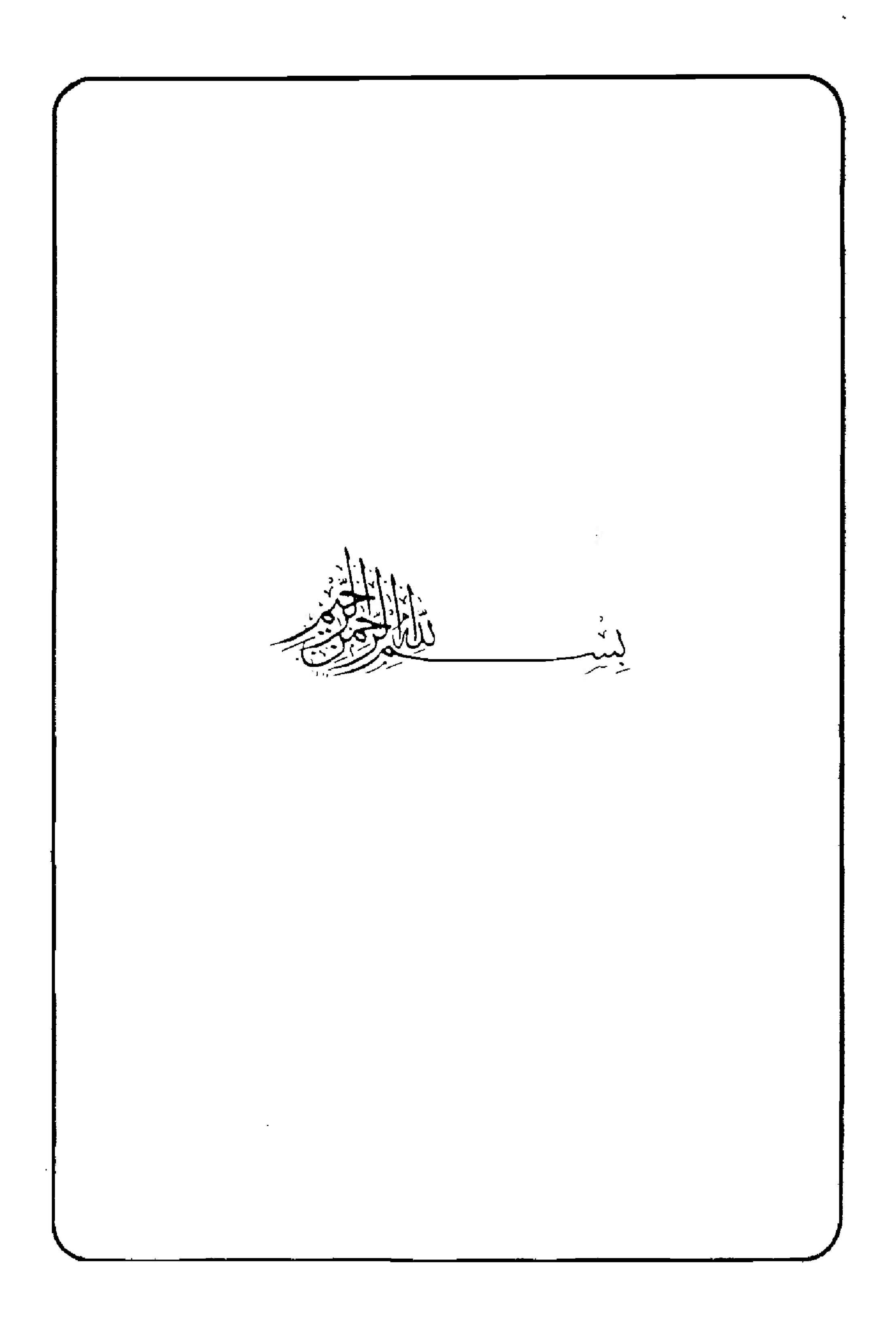
(٨)

فتح مكة

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

الفتح الأعظم

هُوَ الفَتْحُ الأَعْظَمُ الُذي أَعَزَّ اللّهُ به دينَه، ورَسولَه، وجُنْدَه، وَحِزْبَه الأَمين، واستَنْقَذَ بِه بَلَدُه وبَيْتَه الّذي جَعَلَه هُدى للعالَمين مِن أيدي الكُفّارِ والمُشْرِكين.

وَهُو الفَتْحُ الّذي استَبْشَرَ بِه أَهْلُ السَّمَاءِ، وَضَرَبت أَطنابُ[1] عِزِّه عَلى مَناكِبِ الجَوْزاءِ[2]، وَدَخل النّاسُ في دينِ اللّهِ أَفْواجاً، وَأَشْرَق بِه وَجْه الأرض ضِياءً

---

(١) جمع طُنب، وهو حبل يشد به الخباء.

(٢) برج من بروج السماء.

وابتِهاجاً، خَرَجَ لَه رَسولُ اللّهِ ﷺ بِكتائبِ الإِسلامِ، وَجُنودِ الرَّحمٰن سَنَة ثَمانٍ لِعَشْر مَضَيْنَ مِن رَمضان.

قال أُسامةُ: ما أَجْمَلَ هذِه الكَلِمات فَمَن قائِلُها؟

قلت: هٰذه من دُرِّ كَلام ابن قَيِّم الجَوْزِيّة رَحَمَه اللّهُ فَي كِتابِه المُسْتَطابِ «زادِ المَعادِ في هَدى خَيْرِ العِبادِ».

قال أَنَس: إذا كانَ فَتْحُ مَكَّةَ بِهذِهِ المَنْزِلَةِ فَهل ذَكَره اللّهُ سُبْحانَه وَتَعالى فِي كتابِه العَزيزِ؟

قلت: قالَ ابنُ كَثيرٍ فِي «البدايَةِ والنِّهايَةِ»: غَزْوَةُ الفَتْحِ الأَعْظَم ذَكَرَها اللّهُ

تَعالى فِي القُرآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

غدر قريش

قال مالك: فما السَّبَبُ الّذي جرَّ إليه وَحدا[1] إلَيه؟

قلت: لَمّا كانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَة بَيْنَ

---

(١) ساق إليه.

رَسولِ اللّهِ ﷺ وَقُرَيْش، وَقَع الشَّرْطُ: أَنَّه مَن أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عِقْد رَسولِ اللّهِ ﷺ وَعَهْدِه فعَل، وَمَن أحَبَّ أَن يَدْخُلَ في عِقْد قُرَيشٍ وَعَهْدِهم فعَل، فَدَخلت بَنو خُزَاعة في عِقْدِ رَسولِ اللّهِ ﷺ وَعَهْدِه، وَدَخلت بَنو بَكْرٍ في عِقْدِ قُرَيشٍ وَعَهْدِهم، فَلَما استَمَرت الهُدْنَةُ[١] شُغِلَ المسلمُون بنشر الْدعوة الإسلامَيَةِ وَعَرْضِ دين اللّهِ عَلى كُلِّ ذِي لُبٍّ[٢]، وكَان وفاؤهم لقريشُ أمراً مُقرّراً فيما أَجَبّوا وَفيما كَرِهوا.

لٰكنَّ قريشاً ظَلّتَ عَلى مَكْرِها وَغَدْرِها، فقَد قَدّمَت لِحُلَفائِها مِن بَني بَكْرٍ

(١) المصالحة بعد الحرب، أو فترة التهيؤ الصلح.
(٢) عَقْل.

مُساعَدَةً من السّلاحِ والرِّجال في هُجومِها عَلى خُزَاعةَ وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالاً، وَتَناوَشوا واْقتَتلوا، وانْحازَت[1] خُزاعَةُ إِلى الحَرَمِ إذ لَم تكن مُتَأَهِبَةً[2] لِحَرْبٍ، فَتَبِعَتْهم بنو بَكرٍ يَقْتُلونَهم وَقُريشٌ تُعينُهم عَلى الغَدْرِ والبَغْي.

وَأَحَسَّ نَفَرٌ مِن بَني بَكْرٌ أَنَّهُم دَخَلوا الحَرَمَ حَيْثُ لا يَجوزُ قِتالٌ، فَقالوا لِرئيسهم: يا نَوفَل إِنّا قَد دَخَلْنَا الحَرَمَ إِلٰهك إِلٰهك، فَقال كَلِمَةً عَظيمَةً: لا إلٰه لَه اليَوْمَ يا بني بَكْرٍ، أصيبوا ثَأَرَكم، فَلَعَمري إِنَّكم لَتَسرِقون في الحَرَمِ أفلا تُصيبون ثَأْرَكَم فِيه.

---

(١) لجأت إليه تاركة ديارها.

(٢) مستعدة.

فَزَعت خُزَاعَةُ لِما حَلَّ بها، فَخَرَجَ نَفَرٌ[1] منها فَأَخبروا رَسولَ اللّهِ ﷺ بمَن أُصيب مِنهم، وَبِمُظاهَرَةِ قُرَيشٍ بَني بَكْرٍ علَيهم، ثم رَجَعوا إِلى مَكّةَ.

أبو سفيان يخرج ليجدد الصلح

قالت هِنْدٌ: وماذا صَنَعَت قُرَيْشٌ؟

قلت: لَقَد شَعَرَت قُرَيْشٌ أَن مَا فَعَلَت كانَ غَدْراً مَحْضاً وَنَقْضاً صَريحاً للمِيثاقِ، وَلذلك سُرعان مَا أَحَست خَطَأَها، وَخَافَت عَواقِبَه، فَهي تَعلم أَنَّ:

البَغْـــي يَصْـــرَعُ أَهْلَـــه
والظُلْـــمُ مَـــرتعُـــه وَخيـــمُ

---

(١) من الثلاثة إلى العشرة من الرِّجال.

فَقَرَرت أن تُرسل زَعيمَها أبا سفيان لِيُصْلح ما أَفسْدَه قومُه، ويحاوِلُ أن يشدَّ العَقْدَ، وَيزيد فِي المُدَّةِ.

خَرَج أَبو سُفيان حَسْبَ ما قَرَّرَته قُرَيْشٌ حَتى قَدِم المَدينَة وَأتى أَشْرافَ المُسْلِمين يُكَلِّمُهم واحِداً واحِداً، فَكُلُّهم لَم يُجِزْه ولم يُجبْه، بل قالوا: عَقْدُنا في عَقْدِ رسولِ اللّهِ ﷺ.

وحينَئذٍ أظلَمت الدُنيا أمامَ عَيْنَي أَبي سُفيان، وَضَاقَت عَليه الأَرضُ بما رَحُبَت، وَرَجَع إلى قَومِه بُخُفَّي حُنَيْن.

وأذَّنَ رسولُ اللّهِ ﷺ فِي النّاس بالغَزْوِ، وَأَمَرهم أَن يَتَجَهَّزوا، وَأَعْلَمَهم أَنَّه يُريدُ مَكَةَ، وَأَوْصاهُم بالجدِّ والبِدارِ.

وَبَدأ شُعراءُ الإسلام يُحَرِّضون النّاسَ على الخُروج، فقال حسانُ بنُ ثابت يُحَرِّضُ النّاسَ وَيذْكُرُ مُصابَ خُزاعة:

عَنائي وَلَم أَشْهَد بِبَطحاءِ مَكّةَ
رِجالَ بَني كَعْب تُحَزُّ رِكابُها

بأَيدي رجالٍ لم تَسُلُّوا سيوفهم
وَقَتلى كَثير لم تجنَّ ثيابُها

ألا ليت شعري هَل تَنالَنَّ نُصْرَتي
سهيل بن عمرو حرَّها وعقابها

وصفوان عوداً حزّ من شَفْرِ إستِهِ
فهذا أوان الحَرب شُدَّ عِصابُها

فـلا تَـأمَننـا يـا ابـن أُمِّ مجـالـد

إذا احتلبت صرفاً وأَعضل نابُها

ولا تجـزعـوا فـإن سيـوفَنـا

لهـا وَقْعَـةٌ بـالمـوت يُفْتَـح بـابُهـا

واستمَـع المسلمـون لأَمـر نَبيهـم، فَمَضوا يُعَبِئون قُواهم، وَهم يُدِركون أَنَّ ساعةَ اللِّقاءِ مع قُريشٍ قَد دَنَت.

حادث مستغرب

ووسط هذه الفَتْرَةِ الحَرِجَةِ الّتي كان المسلمون حَريصين على إِخْفاء خطَةِ الغَزْوِ وَقَع حادثٌ مُسْتَغرَبٌ، فَقد تَطوّعَ حاطبُ بنُ أبي بَلْتَعة وَهو مِن أَهْلِ السَّبْقِ في جِهاد المُشركين فَأَرسَل كتاباً إلى قُريشٍ يُخبِرُهم

فيه أن رسولَ اللّهِ ﷺ سائِرٌ إليهِم بجَيْشهِ!

أَتى رَسولَ اللّهِ ﷺ الوَحيُ فَأَخْبَره بما صَنَع حاطِبٌ، فَنَدَب رسولُ اللّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب والزَّبَيْرَ بنَ العَوّام فَقال لَهما: انطلِقا حتى تأتِيا رَوضَةَ خاخ[1]، فإنَّ بِها ظَعينَةً[2] مَعَها كِتابٌ إلى قُرَيْش.

فانطَلَقا تَعادى بهما خَيْلُهُما حتى وَجَدا المَرأةَ بذلِك المَكانِ، فاستَنْزَلاها، وقالا: مَعك كِتابٌ؟

فقالت: ما مَعي كتابٌ.

فَفَتّشا رَحْلَها[3]، فلَمَ يجِدَا شيْئاً، فَقال لها عَلِيٌّ: أحلِف باللّهِ ما كَذَب رسولُ

---

(١) موضع بين مكة والمدينة، قرب حمراء الأسد.

(٢) الراحلة يرتحل عليها.

(٣) ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

اللّه ﷺ وَلا كَذَبنا، واللّهِ لتُخْرِجن الكِتابَ أو لَنُجَرِدَنَّك.

فَلَمّا رأت الجدَّ منه، قالت: أَعرِض، فَأَعْرَض، فَحلّت قُرونَ رأْسِها فاستَخرَجَت الكتابَ مِنها، فَدَفَعته إِليهما، فأتيا به رسولَ اللّه ﷺ، فإذا به:

من حاطبِ بنِ أبي بَلتَعة إلى قُريشٍ يُخبِرُهم بِمَسيرِ رسولِ اللّهِ إِليهم.

فدعا رسولُ اللّه ﷺ حاطباً، فقال: ما هذا يا حاطِب؟

قال: لا تَعْجَلْ عليَّ يا رسولَ اللّهِ، واللّهِ إِنّي لَمُؤمِنٌ باللّهِ وَرَسولِه، وما ارتَدَدتُ، ولا بدَّلْتُ، وَلكني كُنْتُ امرءاً

مُلْصَقاً[1] في قُرَيشٍ لَسْتُ مِن أَنْفُسِهِم، وَلي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قَرَابةٌ يَحْمونَهم، وكان مَن مَعك لَهم قَرابات يَحمونَهم، فأحبَبْتَ إذ فاتَني ذلك أن أَتَّخِذَ عِنْدَهم يَداً يَحمُون بها قَرابَتي.

فقال عُمَرُ بنُ الخَطاب: دَعْني يا رسولَ اللّه أَضرِبُ عُنُقَه، فإنّه خانَ اللّهَ وَرَسولَه، وَقَد نافَق.

فقال رسولُ اللّه ﷺ: «إِنَّه قَد شَهد بَدْراً، وما يُدريك يا عُمُر، لعلَّ اللّهَ قد اطلَعَ على أَهْل بَدْرِ فقال: اعملوا ما شِئْتُم، فقد غَفَرتُ لكُم».

---

(١) الدَّعي.

فَذَرَفَت عَيْنا عُمَرَ، وقال: اللّهُ وَرَسولُه أَعْلَم.

وفي هذه الحادثَةَ الغَريبَةِ أَنْزَل اللّهُ قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

لا رَيْبَ أَيّها الأَبناءُ أَنّ حاطباً أخطأَ بِهذا العَمَلِ، لكن الإنْسانَ قد تَعْرُض لَه فَتَراتُ ضَعْف فَيَخْرُج عَن الطّريقِ الصَّحيح، ولكنَّ اللّهَ أبَرّ بِعِبادِهِ مِن أَنْفُسِهم فَيَعفو عَنهم لفضائلهم السابقة، ولِذلك قال ابنُ قَيِّم

الجَوْزية رحمه الله في «زاد المعاد»:

إن الكَبيرَة العظيمَةَ مما دون الشّرك قد تُكَفَّرُ بالحَسَنَةِ الكَبيرَةِ الماحِيَةِ؛ كما وَقع الجَسُّ[1] من حاطب مُكَفَّراً بشهوُده بدراً، فإنَّ ما اشتَملت عَليه هذه الحَسَنَةُ العَظِيمَةُ مِن المَصْلَحَةِ، وَتَضَمَنَته من مَحَبَّةِ اللّهِ لَها وَرِضاه بِها، وَفَرَحِهِ بِها، ومُباهاتِه للملائكة بِفاعِلِها، أعظَمُ مما اشتملت عَليه سَيِّئَةُ الجَسِّ مِن المَفْسَدةِ، وتضمنته من بُغضِ اللّهِ لها فَغَلَب الأقْوى على الأضْعَفِ، فأزالَه، وَأبْطَل مُقتَضاه، وهذه حكمَةُ اللّهِ في الصِّحَةِ والمَرَضِ الناشئين مِن الحَسناتِ والسَّيِّئاتِ، الموجبين لِصحةِ القَلْبِ وَمَرَضِه، وَهي نَظيرُ

---

(١) التَجَسُس

حِكْمَتُه تَعالى فِي الصِّحَةِ والمَرِض اللاحقِين للبَدَنِ، فإن الأَقوى مِنهُما يَقْهَر المَغلوبَ، ويَصيرُ الحكمُ له حتى يَذْهَبَ أثَرُ الأَضعَفِ، فهذه حكمَتُه في خَلْقِه وَقضائِه، وتِلك حِكمَتُه في شَرْعِه وَأَمْرِه.

قال أسامةُ: بهذا التَّقديرِ يُعَلِّمُنا الإسلامُ أَلا نَنسى فَضائِل وحسناتِ مَن يُخطِئون مَرّةً بعد أن أصابوا مَرّاتٍ.

أشراف مكة يتحسون الأخبار

قال أنس: وَماذا صَنع رَسولُ اللّه ﷺ؟

قلت: هٰكذا أَخَذَ اللّهُ العُيونَ وَعَمّى على قُرَيشٍ الأَخْبارَ فَلَم يَبْلُغ إلى قُرَيشٍ خَبَرُ

تَهَيُّؤ المُسلمين للزّحْفِ والقِتالِ، وَمَضى رسولُ اللّهِ ﷺ وَهُو صائِمٌ والمُسلِمون صائِمون، حَتّى بَلَغ الكَديدَ[1] أفطَرَ وَأفْطَرَ الناسُ مَعَه.

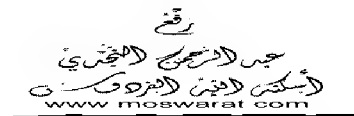
قال مالك: وَقَريشٌ ماذا صَنَعت؟

قُلت: بَعد أَن عَمّى اللّهُ الأَخْبارَ عَلى قُريشٍ، فَهُم فِي وَجَلٍ[2] وارتِقابٍ، فَقَد سَرى القَلَقُ في رُبوعِ مَكّةَ بعد رُجوعِ أبي سُفيان خائِباً، وَلذلك خَرَج أبو سفيان وحكيمُ بنُ حِزام وبُديلُ بن وَرْقاء يَتَحسّسون الأَخْبارَ.

---

(١) موضع في الحجاز وهو على اثنين وسبعين ميلاً من مكة.

(٢) خوف وفزع.



أقارب رسول الله يهاجرون

في هذه الفَتَرَةِ رأى العباسُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ عمُّ رسولِ اللّهِ ﷺ أن يَخْرُجَ مُهاجراً إلى المَدينَةِ فَقابَل رسولَ اللّهِ ﷺ في الطّريقِ، وكذلك خَرَجَ ابنُ عمِّ رسولِ اللّه ﷺ أبو سفيان بنُ الحارِثِ وابنُ عَمَّتِه عبدُ الله بنُ أبي أُمَيَّة فَلَقياه في الطريق.

من أخلاق رسول الله ﷺ

وَلَمّا رَأى رسولُ اللّه ﷺ أبا سُفيان بن الحارث وعبدُ الله بن أبي أُمية أعرَضَ عَنْهُما لِما كانَ يَلْقاه ﷺ مِنْهُما مِن شِدَّة الأَذى والهِجاءِ، فَقالَت لَه أُم المُؤمنين أُمُّ سَلَمَة رضي الله عنها: لا يَكُن ابنُ عَمّك وابنُ عَمَّتِك أشقى الناسِ بِك.

وقال عَليٌّ بنُ أَبي طالبٍ لابن عَمِّه أبي سُفيان بن الحارث: ائتِ رسولَ اللّهِ ﷺ من قِبَلِ وَجْهِه، فقل له ما قال إخوةُ يوسف ليوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾.

فإنه لا يَرضى أن يَكون أحدٌ أَحْسَن منه قَوْلاً، فَفَعل ذلك أبو سفيان بنُ الحارث، فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

فلما سمع أبو سفيان بن الحارث مقالة رسول الله ﷺ أنشده أبياتاً:

لَعَمْرُكَ إنِّي حين أحملُ رايةً

لتَغلبَ خَيْلُ اللاّتِ خيلَ مُحَمّدِ

لكالمدلجِ الحَيرانِ أظْلَم لَيْلُه

فهذا أَواني حين أهدى فاهتدي

هداني هادٍ غيرُ نفسي وَدَلَّني

على اللّه من طَرَّدْت كلَّ مُطَرَّدِ

فضرب رسولُ اللّه ﷺ صَدْرَه فقال: «أنت طَرَّدتني كُلَّ مُطَرَّدِ».

نيران بمر الظهران

واصل رسولُ اللّه ﷺ سَيْرَه حتى نَزَل بِمَرِّ الظَهْران[1] عشاءً، فَأَمَر الجَيْشَ فأوقَدوا

---

(١) يسمى اليوم وادي فاطمة.

نَـاراً، فَـأوقـدت عَشْـرَةُ آلاف نـارٍ، وَجَعَـل رسـولُ اللّـهِ ﷺ علـى الحَـرَسِ عُمَـرَ بـنَ الخَطّاب رَضي اللّه عَنه.

خَرج العَباسُ عمُّ رسولِ اللّه ﷺ لَعْلَّه يَجدُ بَعْضَ الحَطّابَةِ[1] يخبرُ قُرَيشاً لِيَخرجُوا يَسْتَأمنون رسولَ اللّه ﷺ قَبْل أن يَدْخُلَ مَكّةَ عَنْوَةً[2]، فصادفَ في طريقِه كبُراء مَكَّةَ الثَّلاثَةَ الّذين خَرجوا يَتَحَسَّسون الأَخْبارَ، وَيتَسَمَّعون ما يقال، فلما اقْتَربوا مِن الوادي وجدوه قد أضاء فَرَاعَهَم[3] ما به، وجرى بينهم حوارٌ:

(١) جمع حَطّاب، وهو جامع الحطب وبائعه.
(٢) قهراً وقسراً.
(٣) أخافهم وأرعبهم.

أبو سفيان: ما رأيت كالليلةِ نيراناً قط ولا عسكراً!

بُديل: هذه واللّهِ خُزَاعة حَمَشها[1] الحَرْبُ.

أبو سُفيان: خُزَاعَة واللّه أَقَلُّ وَأَذَلُّ مِن أن تكون هذه نيرانُها وَعَسْكَرُها.

فَعَرف العَبْاسُ بنُ عبد المطلب صَوْتَه فَناداه بِكُنْيَتِهِ: يا أبا حَنْظَلَة، وَجرى بَيْنَهما حِوارٌ:

أبو سُفيان: أَبا الفَضْل؟

العَباسُ: نَعم.

---

(١) جمعتهم وساقتهم بغضب.

أبو سُفيان: مالك؟ فِداك أَبي وأُمّي.

العَبْـاسُ: هـذا رسـولُ اللّـه ﷺ فِـي الناسِ، واصباحَ قُريشٍ واللّه.

أبوسفيان: فَما الحَيلَةُ؟ فِداك أَبي وَأُمّي.

العَبْاسُ: واللّه لئن ظَفر بِك لَيضْرَبنَّ عُنُقَك، فاركب في عَجزِ هذه البَغْلَةِ، حتى آتي بِك رسولَ اللّه ﷺ فاستأمنه لَك.

ركب أبو سفيان خَلْف العَباس، وَأَمّا صاحِباه فَرَجعا إلى مَكَّةَ، فَكُلَّما مَرَّ العَبّاسُ على نارٍ من نيرانِ المُسلمين، قالوا: مَن هذا؟ فإذا رَأوا بَغْلَة رَسولِ اللّه ﷺ، قالوا: عَمُّ رسولِ اللّه ﷺ عَلى بَغْلَتِه.

فلمّا وَصَلَ العبّاسُ الحَرَسَ قال عَمُر ابنُ الخَطّاب: مَن هَذا؟ وَقام إليه، فَلَمّا رَأى أبا سُفيان على عَجْزِ الدّابَّةِ قال: أبو سُفيان عَدوُّ اللّهِ؟ الحَمْدُ للّه الذي أَمْكَن مِنْك بِغَيرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ.

خرج عُمَرُ بنُ الخطاب إلى رَسول اللّه ﷺ، لكن العَبّاسَ سَبَقَه وَدَخَلا على رَسولِ اللّه ﷺ، فَقال عُمُر: يا رسول اللّه هذا أبو سفيان فَدَعني أَضرِب عُنُقَه.

فقال العباس: يا رسول اللّه إني قد أَجَرْتُه.

فَأَمَر رسولُ اللّهِ ﷺ العَبّاسَ أَن يَأْخُذَ أبا سفيان إلى رَحْلِه حتى إذا أَصْبَح جاءَ به، فَلَمّا جاءَه عَرَضَ عَليه الإسلامَ فَأَسْلَم وَشَهِدَ

شَهادَةَ الحَقِّ.

فَقال العَبّاسُ: يا رسول اللّه إن أبا سُفيانَ رَجَلٌ يُحبُّ الفَخْرَ، فاجعل لَه شيئاً.

فَقال رَسولُ اللّه ﷺ: «نَعَم، مَن دَخَلَ دارَ أَبي سُفيان فَهُو آمِن، وَمَن أغلَق عَلَيه بابَه فَهُو آمِن، وَمَن دَخَل المَسْجِدَ فَهُو آمِن»

قالت هند: وَهَل رَجَع أَبو سُفيان إلى مَكّة؟

قلت: أَمَر رسولُ اللّه ﷺ العَباسَ أن يَحْبِسَ أبا سفيان بِمَضيقِ الوادي حتى تَمُرَّ به جنودُ اللّه، فيَراها.

فَمَرت القَبائِلَ على راياتِها، كُلّما مَرَت بِه قَبيلَةٌ قال: يا عَبّاس مَن هٰذه؟

فيقول العباس: هذه سُلَيم، فيقول أبو سفيان: ما لي ولسُلَيم، حتى نَفِدَت القبائِلُ، ما تَمُرُّ به قَبيلَةٌ إلا سَأل العَبّاسَ عنها حتى مَرت به الكَتيبَةُ الخَضْراءُ التي فيها المُهاجِرون والأَنصارُ يُحيطون برَسولِ اللّه ﷺ لا يُرى مِنهم إلا الحَدَق من الحَديد، فَقال أبو سُفيان: سُبْحان اللّه يا عَبّاس مَن هؤلاء؟

قال العَبّاسُ: هذا رسولُ اللّهِ ﷺ في المُهاجِرين والأَنْصارِ.

قال أبو سُفيان: واللّه يا أبا الفَضْل لَقَد أَصْبَح مُلْكُ ابنِ أَخيك اليَوْم عَظيماً.

قال العَبّاسُ: إِنّها النّبُوَةُ.

قال أبو سفيان: فَنَعم إِذاً.

النذير العريان

قال العباس: النَّجاءُ إلى قَومِك.

أَسْرَعُ أبو سُفيان إلى مَكّةَ فَدَخَلَها مَبْهوراً مَذعوراً يَعْلَم أَن وراءه إِعصاراً لا يَقُف دونه شيءٌ، فَصَرَخ بأعلى صَوْتِه: يا مَعْشَر قُرَيشٍ، هذا مُحَمّد قَد جاءَكم فِيما لا قِبَلَ لَكم بِه، فَمن دَخل دارَ أَبي سُفيان فَهو آمن.

فقامت إليه زَوْجَتهُ هِنْدُ بنتُ عُتْبَة، فأَخَذَت بشارِبِه؛ فقالت: اقتلوا الحَميت[1]

---

(١) زق السَّمن المنتفخ، تثير أبا سفيان استعظاماً لقوله.

الدَّسِم، الأحمَش(1) السّاقين، قُبِّح مِن طليعَةِ قَوْمٍ.

فقال أبو سفيان: وَيْلَكم لا تغرَّنَّكُم هذه من أَنْفُسِكم، فإنّه قَد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، من دَخل دارَ أبي سُفيان فَهُو آمن.

قالت جموعُ قريش: قاتَلك اللّهُ، وما تُغني عنا دارُك.

قال: وَمَن أغلَق عليه بابُه فهو آمِنٌ، وَمَن دَخل المَسْجِدَ فهو آمِنٌ.

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المَسْجِدِ، فاخْتفى الرِّجال خَلْفَ الأبوابِ المؤصَدَةِ أو اجتمَعوا في المَسْجِد الحَرام

---

(1) دقيق.

يرقبون هذا التَّغَيُّرَ الذي حوَّل مَجرى التأريخ إلى يوم الدين.

على أبواب مكة

سار رسولُ اللّهِ ﷺ يَقُودُ الجَيْشَ الإسلامِيَّ الزّاحِفَ لِيْحَرِّرَ عاصِمَةَ الشِّرْكِ وَقَلْعَةَ الأوثانِ من كُلِ عُبودِيَةٍ لِغير اللّهِ الواحِدِ القهّارِ، وكانَت تُتَوِّجُ هامَةَ[1] رسول الله ﷺ عمامة سوداء، وكان يضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح المبين.

ودخلت مواكب الإيمان وجنود الرحمٰنِ مَكَّةَ مِن أعلاها، وَضُرِبت لِرسولِ

---

(١) وسط الرأس وأعلاه.

اللّه ﷺ هنالك قُبَّةٌ، وأَمرَ خالدَ بن الوَليد أَن يَدْخُلَها من أَسفَلِها، وَأَمَر الزّبَير بن العَوّام أن يَدخُلَها بِمَيَسَرَةِ الجَيْشِ مِن كداء، وأمرَ أبا عبيدة أن يأخُذَ بَطْنَ الوادي.

وَكانت قُريشٌ قَد وَبَّشت[١] أوباشاً[٢] لها، فقالوا: نُقَدِّم هؤلاء، فإن كان لِقُرَيش شَيءٌ كنا معهم، وإن أُصيبوا أَعْطَينا الذي سُئِلنا.

فقال رسولُ اللّه ﷺ: يا أبا هُرَيرَة؟

فقال أبو هريرة: لَبَّيك رَسولَ اللّهِ وَسَعْدَيك.

---

(١) جمعت جموعاً من قبائل شتى.

(٢) جمع وَبْش وهم الأخلاط والسَّفلَة.

فقال ﷺ: «اهتف لي بالأنصارِ، وَلا يأتيني إلا أَنْصارِيٌّ».

قال أبو هريرة: فَهَتَفْت بِهِم، فجاؤوا، فَأَطافوا برسولِ اللّه ﷺ.

فقال ﷺ: «أَترون إلى أوباشِ قُريشٍ وَأَتباعِهم».

ثم قال بِيَديه إحداهما على الأخرى: «احصدوُهم حَصْداً حتى تُوافوني بالصَّفا».

فانْطَلَقنا، فَما يَشاءُ أَحَدُ مِنا أَن يَقْتُلَ منهم إلا شاء، وما أَحَدٌ مِنهم وجَّه إلينا شيئاً.

في رحاب البيت العتيق

واجتمعت جُيوشُ الفَتْح في البَيْتِ

الحَرام، وَعَلت كَلمَةُ اللّهِ في بَطْحاءِ مكّةَ.
وَنَهَضَ رَسولُ اللّهِ ﷺ إلى البَيْتِ العَتيقِ حتى دَخَل المَسْجد، فَأقْبَل إلى الحَجَرِ الأَسْودِ فاستَلَمَه، ثُمّ طافَ بالبَيْتِ وَبِيَدِه قَوْسٌ، وَحَوْلَ البَيْتِ وَعليه ثَلاثُمئة وَسُتون صنماً، فَجَعل يَطْعَنُها بالقَوسِ ويقول:

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، والأصنامُ تَتَساقَطُ عَلى وُجوهِها.

ثُم دَعا عثمانُ بنُ طَلْحَة، فَأَخَذ منه مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ، فَأمر بَها فَفُتِحَت، فَدَخَلَها، فَرَأى فيها الصُّوَرَ تَمْلَؤُها وَفيها صورَةٌ لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

يستقسمان بالأزلام[1]، فقال ﷺ: «قاتَلَهم اللّهُ، واللّه ما استقسما بها قَطّ».

وَأَمَر رسولُ اللّه ﷺ بالصُّوَر فمُحيت كلَّها حتّى طَهَرَ المَسجِدَ مِن كُلِّ صُوَرِ الوَثَنِيّةِ.

قال أنس: إننا نَرى في بيوت بَعضِ المُسلمين صِوراً فهل يجوزُ تَعليقُها؟

قلت: لَقد نَهى رسولُ اللّه ﷺ عَن ذلك.

---

(١) جمع زَلم، وهو: السهمُ الذي لا ريشَ عليه، وكان أهلُ الجاهلية يقترعون بها، وكانوا يكتبون عليها الأمر أو النّهي ويضعونها في وعاءٍ، فإذا أراد أحدُهم أمراً أدخل يدَه فيه وأخرج السَّهم، فإذا خرج ما فيه الأمرُ مَضى لقصده، وأن خرج ما فيه النَّهيُ كَفَّ.

قالت هند: هَلاّ ذكرت لَنا طرفاً من قولِه ﷺ في ذلك؟

قلت: عَلى الرَّأسِ والعَيْنِ، اذهبي إلـى المَكْتَبَـة واحضـري كتـابَ: «ريـاض الصالحين»، فانتَقيتُ عِدَّة أحاديث مِن باب تَحريم تَصويرِ الحَيوان في بِساطٍ أو حَجَرٍ أو ثَوْبٍ أو دِرْهَمٍ أو مَخَدَّةٍ أو دينارٍ أو وسادَةٍ وغيرِ ذلِك، وتحريمِ اتخاذِ الصّورَةِ في حائِطٍ وَسَتْرٍ وَعِمامَةٍ وثوبٍ ونحوها، والأَمْر بإتلافِ الصّوَرِ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يَصْنَعون هذه الصُوَر يُعَذّبون يومَ القيامة، يقال لهم: أحيو ما خَلَقْتُم» متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرٍ وقد سَتَرتُ سَهْوَةً[1] لي بِقرامٍ[2] فيه تَماثيل، فلما رآه رسولُ الله ﷺ تَلَوَّنَ وجهه وقال: «يا عائشة أشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

فقالت: فَقَطَعْناهُ، فجعلنا منه وِسادَةً أو وِسادتين. متفق عليه.

عن أبي الهياج حيّان بن حُصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ اللّه ﷺ؟ أن لا تَدَع صورةً إلا طَمَسْتَها، ولا قبراً

(١) النافذة.

(٢) الستر.

مشرفاً إلا سَوَّيته. رواه مسلم.

قال أسامةُ: ما معنى قولِ الإمامِ النّووي رحمه الله في نِهايَةِ الحَديثِ: مُتَّفَقٌ عَليه؟

قلت: لَقد اهتَمَّ علماءُ المُسلمين بِجَمْعِ السُّنَّةِ النَّبَويَةِ وتدوينِها وَتَمييزِ صحيحِها من سَقيمِها، وَمن أشهرِ هؤلاء العلماءِ الإمامُ مُحَمّدُ بنُ إسماعيل البُخارِي وتلميذُه الإمامُ مُسْلِمُ بنُ الحَجّاج؛ مُؤَلِّفا أَصَحِّ كتابين من كُتُبِ الحديث وأشهرها: «الجامع الصحيح للبخاري»، و«صحيح الإمام مسلم».

والحديثُ الذي يَرِدُ في هذين الكِتابين بِنَصه يقال عنه: مُتَّفق عَليه، وما جاء في أحدهما دون الآخر يقال: أخرجهُ البخاري،

أو أخرجَه مسلم، حَسب وُرودِه.

قال مالك: وهل التصويرُ بَجَميعِ أشكالِه مُحَرّمٌ؟

قلت: وَرَد في الحديث المُتَّفَقِ عَلَيه: أن ابنَ عباس قال: سَمِعت رسولَ اللّه ﷺ يقول: «كلُّ مُصَوِّر في النار يُجعل له بِكُلِّ صورَةٍ صَوَّرَها نَفْسٌ فَيُعَذِّبه في جَهَنَّم».

فقال ابن عباس: فإن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فاصنَع الشّجَرَ وما لا روحَ فِيه.

الطلقاء

ثم تساءل الأبناء: ماذا صَنع رسولُ الله ﷺ بقريش الذين حارَبوه وأخرجوه مِن بَلَدِه؟

قلت: عفا رسولُ الله ﷺ عَن قريش، وَلكنه أَهْدَرَ[1] دَمَ تَسْعَة نَفَرٍ مِن أكابِرِ مُجرِميها، وَأَمَرَ بقَتْلِهم وَإِن وَجدوهم تَحتَ أستارِ الكَعْبَة، وهم: عبد العُزّى بن خَطل، وعبد الله بن سَعد بن أبي سَرْح، وَعِكْرِمة ابن أبي جهل، والحارِث بن نفيل بن وَهْب، وَمَقيس بن صُبابة، وَهَبّار بن الأَسْود، وجاريتان لابن خَطْل، وسارة مولاة لِبني عبد المطلب.

فأما ابنُ خطل، والحارثُ بن نُفيل، ومقيس، وإحدى الجاريتين فُقُتِلوا. وأما عِكرِمَةُ، وعبدُ الله بن سَعد، وهبّارُ بن الأسود، وإحدى الجاريتين، وسارةُ

---

(١) أباحه وأسقط القصاص فيه والدِّية.

فاستؤمن رسولُ الله ﷺ لهم، فأَمَّنَهم.

خطبة رسول الله ﷺ

فلما كان الغَدُ مِن يوم الفَتْحِ، قام رسولُ الله ﷺ في النّاسِ خَطيباً، فَحَمد اللّهَ وأثنى عليه، ومجَّده بما هو أَهْلُه، ثم قال: «يا أيهُّا الناسُ إنَّ اللّه حَرَّم مَكَّةَ يومَ خَلَق السماوات والأَرْضِ، فَهي حرامٌ بِحُرْمَةِ اللّه إلى يومِ القِيامة، فَلا يَحِلُّ لامرىء يُؤمِن باللّهِ واليومِ الآخر أن يَسْفِكَ فيها دَماً أو يَعضُدَ شَجَرَةً، فإن أحدٌ تَرخَّصَ لقتالِ رَسولِ الله فقولوا: إنَّ الله أَذِن لِرسولِه، ولم يأذَنْ لَكم، وإنَّما أُحلَّت لي ساعة من نَهارٍ، وقد عادت حُرْمَتُها اليوم كحُرَمتِها بالأَمْس، فليُبَلِّغ الشاهِدُ الغائِبَ».



وطن المسلم

قال أنس: وهل بقي رسولُ اللّه ﷺ في مَكَّة بعد أن فَتَحَ بَلَدَهُ، وَوَطَنَه وَمولِدَهُ؟

قلت: إن ارتباطَ المُسْلِم بالأَرِضِ ليس ارتباطَ تُرابٍ وَطينٍ وإنما ارتباط عَقيدَةٍ ودِين، فَمَكَّةُ بَلَدُ رَسولِ اللّه ﷺ وموطِنُه ومولدُه لِكن المدينَةَ نَصرَتُه وَوَقَرْتُهُ.

ولقد قال الأنصارُ فيما بينهم: أَتَرون رسولَ اللّه ﷺ إذ فَتَح اللّهُ عَليه أرضَه وَبَلَدَه أن يُقيمَ بها؟

فقال رسول الله ﷺ: «ماذا قلتم»؟

فقالوا: لا شيء يا رسولَ اللّه، فَلَم يَزَل بِهم حتّى أخبروه.

فقال رسول الله ﷺ: «مَعاذَ اللّهِ، المَحيا مَحياكُم، والمماتُ مَمَاتُكم».

البيعة على الإسلام

قال مالك: وَهَل أَسلَم أَهْلُ مَكّةَ؟

قلت: تَبَيَّنَ لأهل مَكّةَ أن لا سبيلَ إلى النّجاحِ والفلاح إلا بالإسلامِ، فأذعَنوا له، واجتَمَعوا للبَيْعَةِ، فتَمَّت البَيْعَةُ عَلى السَمْعِ والطّاعَةِ لِلّه ولِرَسولِه فَيما استَطاعوا.

فَلَما فَرَغَ رسولُ الله ﷺ مِن بَيْعَة الرجال أَخَذ في بَيْعَةِ النِّساءِ، وَسُنَّةُ رَسولِ اللّه ﷺ فِي ذلك أن يَأخُذَ البَيْعَةَ عَلَيهن كَلاماً لا مُصافَحَةً، كما أخبرت عائِشَةُ رضي الله عنها: «لا واللّه ما مَسَت يَدُ رسولِ اللّه

يَدَ امرأةٍ قَط».

قـالـت هنـد: أَلا يَجـوز للمـرأة أن تُصافح الرِّجالَ أو العكس؟

قلت: يا بُنيَتي! لقد حَرَّم الإسلامُ المُصافَحَة بَين الرِّجالِ والنّساءِ إلا ذوي المَحارِم، فَقد قال رسولُ الله ﷺ: «لأن يُطعَنَ فِي رأسِ رجل بِمخيطٍ من حديدٍ خَيْرٌ من أن يَمَسَّ امرأةً لا تَحِلُّ له».

قال أسامة: إنّ في الحديثِ وَعيدٌ شديدٌ لِمن مسَّ امرأةً لا تَحِلُّ لَه، وللأسَفِ فقد ابتلي بذلك كثيرٌ من المُسلِمين في هذا العَصْرِ رَجالاً ونساءً، نسألُ اللّه العافِيَةَ.

قال مالك: وَهَل غادرَ رسولُ الله ﷺ

مَكَّةَ سَريعاً بَعد أن دَخَلها الإسلامُ وَهَزَم الدَوْلَة التي كانَت تحمي الأَصنامَ؟

قلت: أَقام رسولُ اللّه ﷺ بِمَكّةَ تَسْعَةَ عَشَر يَوماً يُجدِدُ مَعالِمَ الدين، ويرشِدُ الناس إلى التُّقى والهُدى.

وخلال هذه المُدّةِ قامَ رسولُ اللّه ﷺ بعدة أَعمال:

١ـ أَمرَ رسولُ اللّه ﷺ تَمِيمَ بن أُسيد الخُزاعي فَجَدَّدَ أنصاب الحَرمِ، وهي حجارة تجعل علامات بين الحِلِّ والحرم.

٢ـ بثَّ سراياه للدعوةِ إلى الإسلامِ، وَكَسَّر الأوثانَ التي كانت حَوْل مَكّةَ، فَكُسِّرت كُلُّها، منها اللاّتُ والعُزى، ومناةُ

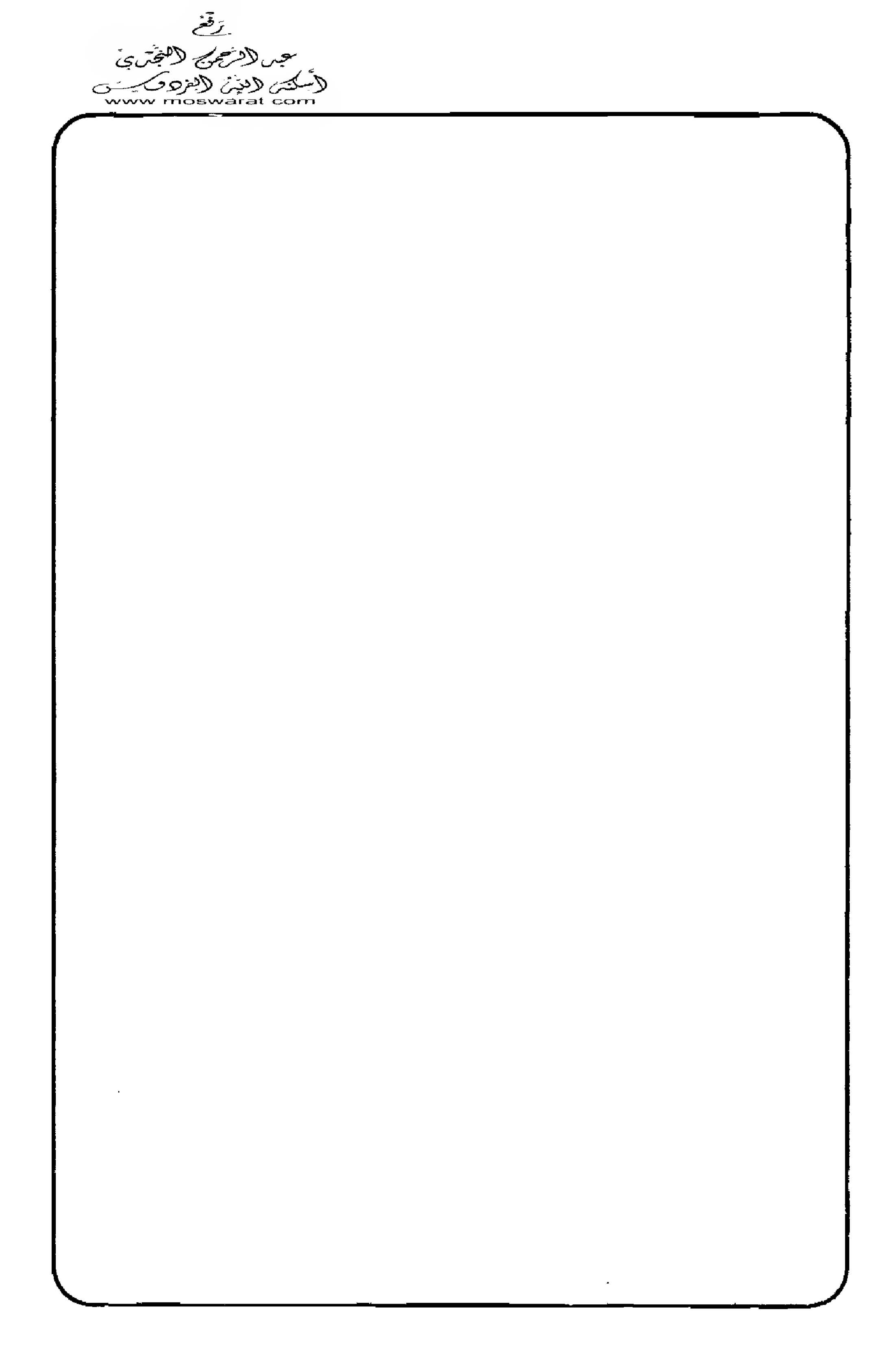
الثالِثَةُ الأَخرى، ولم يَبْقَ صَنَمٌ إلا كَسَرَّهُ.

قال مالك مَرة أُخرى: هَل غادَر رسولُ الله ﷺ مكة عائداً إلى المَدينَةِ كَمَا وَعَد الأنصارَ؟

قلت: لا.

قال: إلى أين ذَهب إذن؟

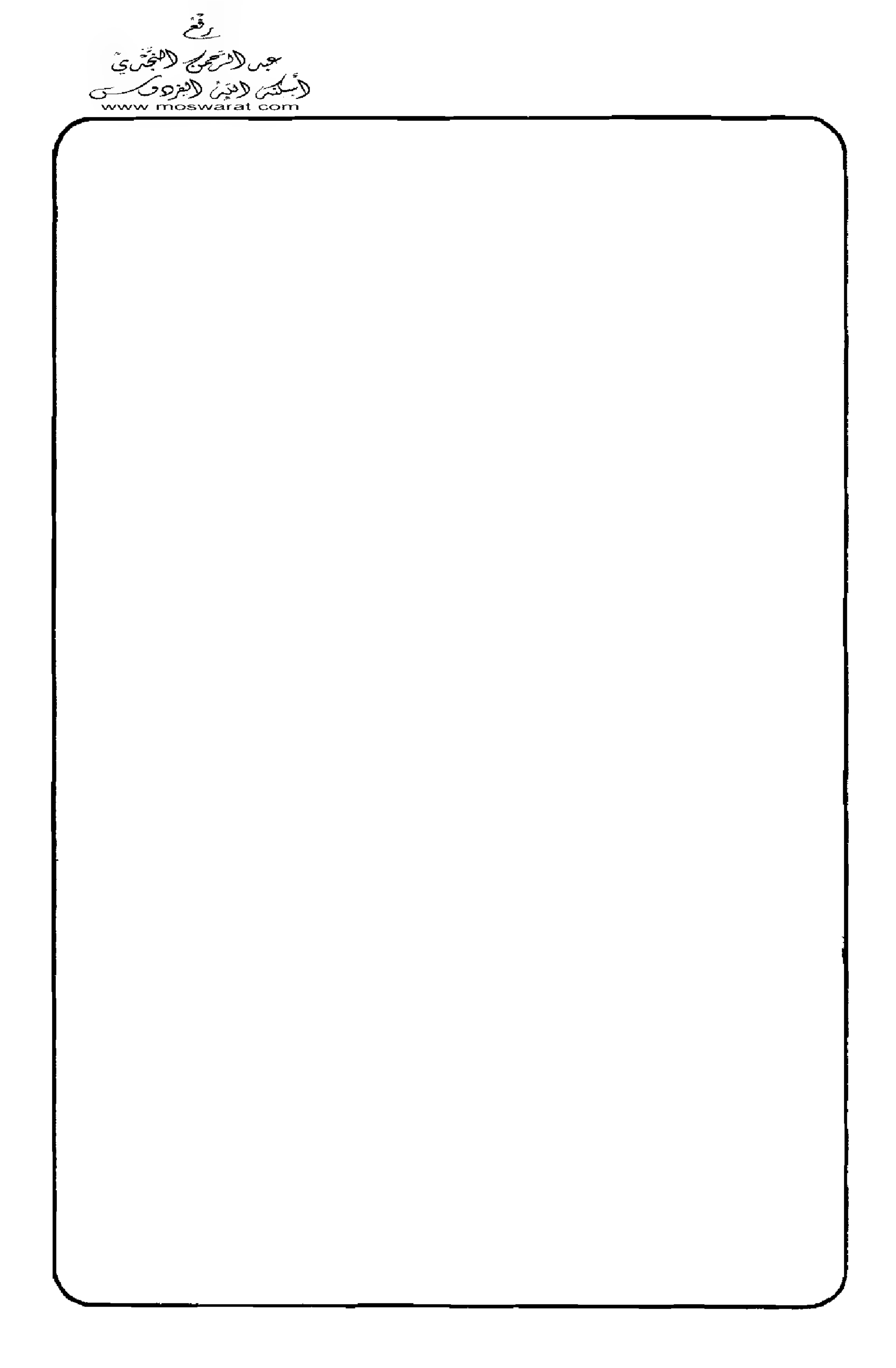
قلت: عَلى رِسْلِك يا بُنَيَ، وَهذا ما سَتَعلَمَه إِن شاءَ اللّه في مَجْلِسنا القادِم، وغادر الجَميعُ مَجالِسَهم مُرَددين دُعاءَ كَفّارَةِ المَجْلِس: «سبحانَك اللّهُمّ وَبِحَمدِك أَشْهَدُ أن لا إِلَه إلا أَنت أستَغْفِرُك وأتوبُ إِليْك».



معلومات

تمــاريــن

أنشــطــة



* أضع إشارة (√) أمام الجملة الصحيحة وإشارة (X) أمام الجملة الخطأ، وأصحح الجملة الخطأ.

١ ـ الفتح الأعظم هو فتح خيبر.

٢ ـ مؤلف كتاب «البداية والنهاية» هو الحافظ ابن كثير.

٣ ـ دخلت بنو بكر في حلف رسول الله ﷺ.

٤ ـ ذهب أبو سفيان إلى المدينة النبوية ليقدم اعتذاراً للمسلمين.

٥ ـ شاعر الرسول ﷺ هو حسان بن ثابت.

* علل ما يلي (اذكر السبب):

١ ـ جهز الرسول ﷺ جيشاً لفتح مكة على الرغم من وجود الهدنة بينه وبين قريش.

....

....

٢ ـ لم يقتل الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة مع أنه أخبر قريشاً بمسير المسلمين إلى فتح مكة.

....

....

* عندما رأى أبو سفيان كتائب المسلمين قال للعباس عم رسول الله: لقد

أصبح مُلك ابن أخيك اليوم عظيماً، فأجابه العباس: إنها النبوة.

علام يدل جواب العباس لأبي سفيان؟

....

....

* ما الحكم الشرعي لما يأتي:

١ ـ الاستقسام بالأزلام.

٢ ـ تصوير الحيوانات.

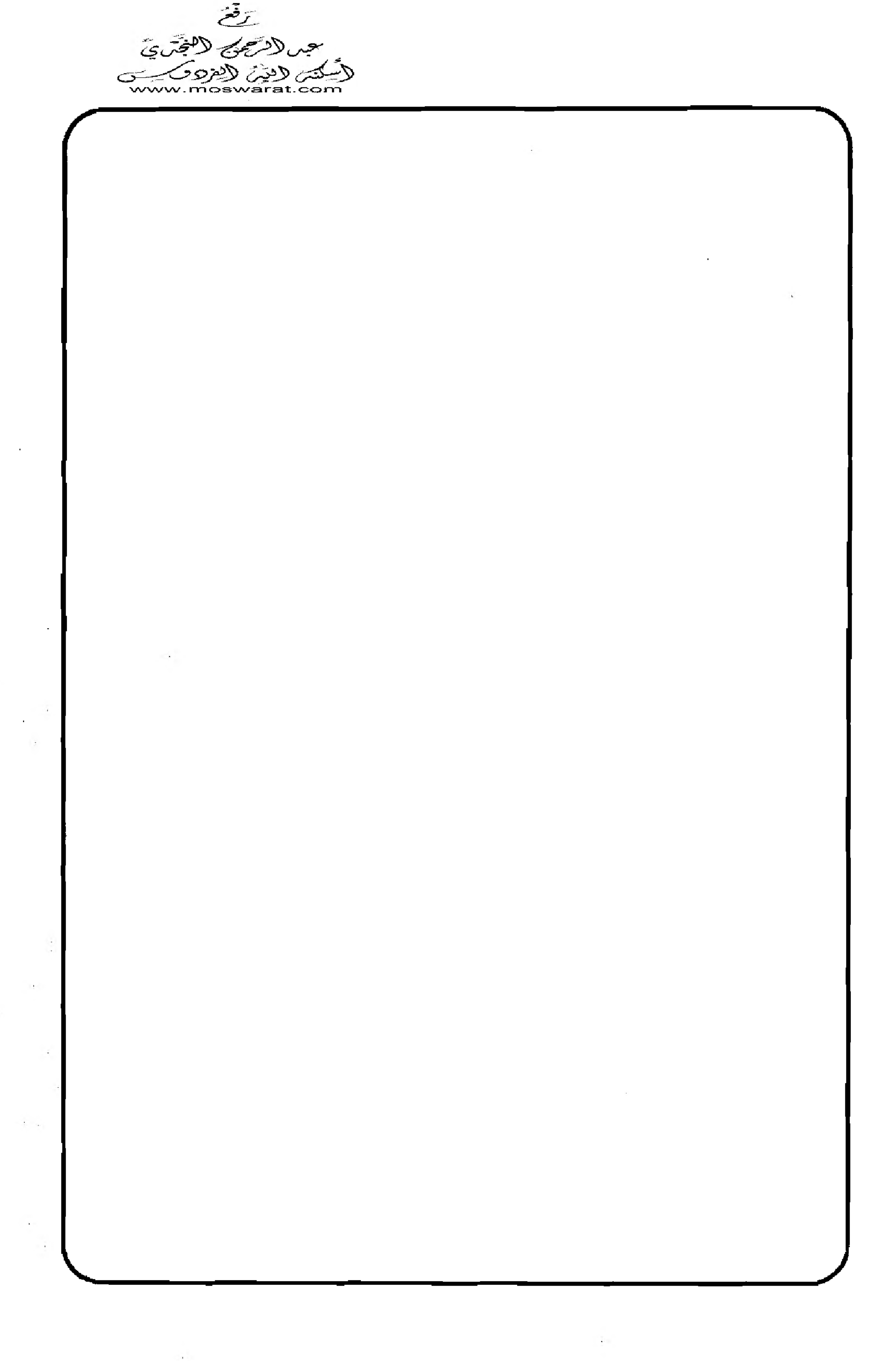
٣ ـ القتال في مكة بعد الفتح.

٤ ـ مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات.

* أصل بين العامود (أ) وما يناسبه في العامود (ب):

(أ)	(ب)
أنصاب الحرم	موضع بين مكة والمدينة قرب حمراء الأسد
الجوزاء	موضع في الحجاز
روضة خاخ	برج من بروج السماء
الكديد	وادي فاطمة
مر الظهران	حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم
. . . . .	الأصنام والأوثان

* * *




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com